

تفسير ابن كثير

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ^ط وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ^{هـ}
وَنُورُهُمْ^ط وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

وقوله : (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون) هذا تمام لجملة وصف المؤمنين

بالله ورسوله بأنهم صديقون . قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (والذين آمنوا بالله

ورسله أولئك هم الصديقون) هذه مفصلة (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم)

. وقال أبو الضحى : (أولئك هم الصديقون) ثم استأنف الكلام فقال : (والشهداء عند

ربهم) وهكذا قال مسروق ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم . وقال الأعمش ،

عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله في قوله : (أولئك هم الصديقون والشهداء

عند ربهم) قال : هم ثلاثة أصناف : يعني المصدقين ، والصديقين ، والشهداء ، كما قال

[الله] تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين) [النساء : 69] ففرق بين الصديقين والشهداء ، فدل

على أنهما صنفان . ولا شك أن الصديق أعلى مقاما من الشهيد ، كما رواه الإمام مالك

بن أنس ، رحمه الله ، في كتابه الموطأ ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم " . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : " بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين " . اتفق البخاري ، ومسلم على إخراجه من حديث مالك بهو قال آخرون : بل المراد من قوله : (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء .

حكاه ابن جرير ، عن مجاهد ، ثم قال ابن جرير : حدثني صالح بن حرب أبو معمر ، حدثنا إسماعيل بن يحيى ، حدثنا ابن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن البراء بن عازب قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " مؤمنو أمتي شهداء " . قال : ثم تلا - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم) هذا حديث غريب قال أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون في قوله : (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم

ونورهم) قال : يجيئون يوم القيامة معا كالإصبعين .وقوله : (والشهداء عند ربهم) أي :
في جنات النعيم ، كما جاء في الصحيحين : " إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر
تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربك اطلاعة
فقال : ماذا تريدون ؟ فقالوا : نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول
مرة . فقال إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون "وقوله : (لهم أجرهم ونورهم) أي : لهم
عند ربهم أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم ، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما
كانوا في الدار الدنيا من الأعمال ، كما قال الإمام أحمد :حدثنا يحيى بن إسحاق ،
حدثنا ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن أبي يزيد الخولاني قال : سمعت فضالة بن
عبيد يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول :
" الشهداء أربعة : رجل مؤمن جيد الإيمان ، لقي العدو فصدق الله فقتل ، فذلك الذي
ينظر الناس إليه هكذا - ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - أو قلنسوة عمر ، والثاني مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح ، جاءه
سهم غرب فقتله ، فذاك في الدرجة الثانية ، والثالث رجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر

سيثا لقي العدو فصدق الله حتى قتل ، فذاك في الدرجة الثالثة ، والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافا كثيرا ، لقي العدو فصدق الله حتى قتل ، فذاك في الدرجة الرابعة " .وهكذا رواه علي بن المديني ، عن أبي داود الطيالسي ، عن ابن المبارك عن ابن لهيعة ، وقال : هذا إسناد مصري صالح . ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال : حسن غريب قوله : (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) لما ذكر السعداء ومآلهم ، عطف بذكر الأشقياء وبين حالهم .